

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

- محاضرات: ماستر 2. (2022-2023م)

- تخصص: تاريخ الجزائر الحديث.

- مادة: الحياة الثقافية في الجزائر.

- الأستاذ: عبد القادر فلوح.

مقدمة:

يعد موضوع الحياة الثقافية في الجزائر أثناء الفترة الحديثة والمعاصرة، من المواضيع الهامة في تاريخ الجزائر العام، لإرتباطه بتكوين الانسان الجزائري الذي يبقى باستمرار متمسكا بالمقومات الدينية والتاريخية له. ومن هنا تكمن أهمية البحث في الاوضاع الثقافية للجزائر في فترات مختلفة. وكثيرة تلك الابحاث التاريخية التي استطاعت، رغم صعوبة الوصول للمصادر الاساسية، أن تؤكد على أن المجتمع الجزائري يمتلك كل المقومات الثقافية الأساسية والتي تجعله رائدا في منطقة المغرب الإسلامي، بالرغم من بحوث أخرى تنفي عليه ريادته في هذا المجال. وهو ما نحاول من خلال مجموعة المحاضرات المقدمة الى التأكيد على أن المجتمع الجزائري انفرد بخاصية ثقافية تقوم على أصالة انتاجه الثقافي وتنوعه، متركه يحافظ على عاداته وتقاليده في المجال الثقافي.

تقوم عناصر المادة على المحاور التالية:

- الاوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني.

- المؤسسات الثقافية (الاوقاف-المساجد-الزوايا -المدارس - المكتبات).

-التعليم ومراحله.

-العلوم وأنواعها.

-الحواضر الثقافية (تلمسان-بجاية-مدينة الجزائر-قسنطينة).

- التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها العربي الاسلامي.

1- الاوضاع الثقافية في بداية العهد العثماني:

عاشت الجزائر في بداية القرن 16م وضعاً سياسياً، تميز بالاعتداءات المتكررة لاسبانيا الكاثوليكية على سواحل ومدن الجزائر المطلة على البحر المتوسط ، انتهت باحتلالها والتي أدت الى هجرة سكانية من هذه المدن، زادها محنة الضعف الذي اصاب السلطة الشرعية بمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد، كان هذا الوضع السيئ للجزائر تاثيره الواضح على الانتاج الفكري الجزائري الذي تراجع بسبب هجرة العلماء من ارض الجزائر وقيام اسبانيا بتخريب مراكز الثقافة الجزائرية.

وامام هذا الوضع السياسي الذي تعيشه مدن وبوادي الجزائر، جعل الجزائر تدخل مرحلة جديدة تميزت بانضمامها الى الدولة العثمانية(راجع في هذا الاطار محاضرات تاريخ الجزائر الحديث). أكسبها ذلك استقراراً سياسياً مما أدى الى عودة الحياة الثقافية للجزائر. لقد امتازت مدن تلمسان وبجاية ومازونة والجزائر بكثرة علمائها وفقهائها وأدبائها، وانتشرت المدارس والمساجد والزوايا ، فتضاعف التحصيل والانتاج العلمي وتطورت العلوم النقلية والعقلية المختلفة.

2-المؤسسات الثقافية في الجزائر:

أ- المساجد: تعتبر من أهم المؤسسات التعليمية، وهي مظهر من المظاهر والمنشآت العمرانية التي تزخر بها مدن وبوادي الجزائر. وقد ذكر فونتير دو بارادي في كتابه ان مدينة الجزائر تتوفر على 12 مسجدا كبيرا وأخرى صغيرة، يتلو فيها القرآن وتعليم مختلف العلوم الفقهية من خلال الدروس التي يقدمها فقهاء ومعلمون واساتذة للطلبة من مختلف الاعمار بالمدن الجزائرية.

ومن اهم مساجد المدن الجزائرية الكبرى نذكر جامع كتشاوة 1612م ومسجد علي خوجة، وجامع علي بتشين والجامع الحديد(1660م) بمدينة الجزائر بدار السلطان،أما بمدينة قسنطينة فقد عرفت هي الاخرى تشييد عدد من المساجد ومن اهمها الجامع الكبير القسنطيني وجامع سيدي الكتاني (1776) والجامع الاخضر وجامع حسن باي، كما كانت مدينة تلمسان منارة علمية بانتشار المساجد ذات البناء العمراني الاسلامي المميز ومن اهمها الجامع الاعظم (1080م واعيد بناءه بتاريخ 1135م)، ومسجد سيدي ابي حسن التتسي ومسجد سيدي الحلوي الشوذي، وعرفت هي الاخرى مدينة عنابة اخمل المساجد مثل مسجد صالح باي (1792م).

ب- المدارس: عرفت الحواضر الجزائرية الكبرى انتشار المدارس منذ القرن الـ 8 الهجري الـ 14 الميلادي مثل مدن تلمسان وبجاية ومازونة. وقد عرف العلامة الجزائري أبو رأس الناصري المدرسة بذلك المكان لتلقي

العلوم وقد تعددت تخصصاتها بين العلوم النقلية والعلوم العقلية. ولم تتوفر الجزائر على جامعات أو مدارس عليا مثل الازهر أو الزيتونة أو الجامع الاموي بدمشق. وتذكر المصادر التاريخية أن مدينة الجزائر كانت تتوفر على 3 مدارس كبرى للمذهب المالكي واخرى للمذهب الحنفي والى جانب عدد آخر من المدارس الصغيرة. وعرفت مدينة معسكر بناء مدرسة شيدها الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري ويقول احد الفقهاء أن المدرسة تكاد يتفجر العلم من جوانبها، والى جانبها كانت مدينة تلمسان مركزا علميا بها 50 مدرسة يتعلم بها الف تلميذ، كما قام صالح باي حاكم اقليم قسنطينة ببناء المدرسة الكتانية التي تميزت بالانضباط حتى انها قورنت بالمدارس الاوربية المعاصرة لها. وصنفت المدارس الى صنفين مدارس تهتم بتدريس العلوم الفقهية في تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره وشرح الاحاديث النبوية الشريفة وتعليم الفقه وعلوم المنطق والاصول واخرى تهتم بتدريس العلوم العقلية والتجريبية مثل علوم الفلك والحساب والطب.

3-التعليم ومراحله:

كان التعليم حرا ولا يخضع لسيطرة الدولة ، لقد كان سكان المنطقة أو المدينة والقرية ينظمون بوسائلهم تعليم القرآن والحديث. وكان التعليم يعتمد على حفظ القرآن الكريم والاحاديث والامتون الشعرية وغيرها. واصبح الوقف هو الذي يغذي ويدعم المدارس.

وتذكر المصادر ان الجزائر عرفت ازدهارا في مجال التعليم قبل الاحتلال الفرنسي، ويدل ذلك على انتشار المدارس والمعاهد العلمية. وتمثلت اطوار التعليم في ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الابتدائية: يقوم الطفل الجزائري من سن 5 و 6 بتعلم القراءة والكتابة وتحفيظ سور من القرآن الكريم وبعض الاحاديث وتنتشر مدارس التعليم الابتدائي بكل مدن الجزائر وبواديها. والتلميذ الذي تكون لديه ملكات حفظ كبيرة يرتقي الى المرحلة الثانوية التي يتميز فيها التعليم بالشرح و الاملاء، كما تضاف مواد أخرى للتعلم مثل مواد الفقه والنحو والصرف والبلاغة. واذا نجح التلميذ في هذه المرحلة، فانه يتوجه الى المدن الكبرى مثل مدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان التي تتوفر على مدارس كبرى وفقهاء واساتذة لهم مكانة علمية بالمنطقة. وكانت المدارس الكبرى تتكفل بايواء الطلبة القاطنين بعيدا. أما فيما يتعلق بالبرامج فقد تكاد تكون متشابهة في أغلب البلاد الاسلامية. وقد ذكر ابو القاسم سعد الله (رحمه الله) أن دروس مساجدها الكبرى تضاهي ما تقدمه بعض المساجد في المشرق الاسلامي لتنوع وتعدد الدراسات. واذا تفوق الطالب في هذه المرحلة يجاز من طرف الاستاذ ليدخل بدوره مهمة التدريس أو يهاجر الى خارج الجزائر من اجل التعمق في العلوم.

ومن اجل تقديم نظرة عامة حول تنظيم المدارس بالجزائر في الفترة العثمانية، نقدم فكرة حول جهود حاكم بايلك الشرق الجزائري صالح باي (1771-1792م) في مجال التعليم.

يعتبر صالح باي من ابرز بايات الجزائر في الشرق الجزائري،حيث عرفت فترة حكمه ازدهارا في مجال التعليم، فقد اجتمع العلماء حوله وقام ببناء المدارس في الاقليم،حيث بلغت المساجد أثناء فترة حكمه حوالي 75 مسجدا وبلغت الزوايا 13 زاوية . فقد جاء في كتاب لأوجين فايست تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1873م ترجمة صالح نور في ص43)... وبما أننا نتحدث عن التعليم، فان القارئ قد يكون ممنونا اذا أطلعناه هنا على النظام المتبع في عهد صالح باي داخل مؤسسات التعليم العمومي، فاذا قارناه بالنظام المتبع في نفس الوقت داخل ثانوياتنا في فرنسا، فاننا نرى أنه لم يكن أقل منه مستوى....).

القانون: صدر في شهر سبتمبر من سنة 1780م

-تشمل المدرسة على مسجد وعلى خمس غرف تخصص واحدة منها للاستاذ واربع الباقية للطلبة.

-عدد الطلبة الداخلين 8 طلبة ينامون بمعدل 2 في كل غرفة.

-يوجد وكيل مكلف بالمداخل ومصاريف المدرسة وبواب لكنس المدرسة واشغال المصابيح في القاعة المخصصة للصلاة.

-يبلغ مرتب الاستاذ 30 ريالا سنويا ومرتب الوكيل 8 والبواب 7 ريالات ويتقاضى كل طالب 6 ريالات.

-يقوم الاستاذ بإلقاء 3 دروس في اليوم.

-لا يقبل في المدرسة إلا الشبان الذين يحفظون القرآن جيدا.

-كل تلميذ بقضي 10 سنوات في المدرسة.

-تحدد العطلة 20 أو 30 يوما.

4-العلوم وانواعها:

يكاد ينحصر الانتاج العلمي الجزائري في العهد العثماني، في الدراسات القرآنية كالتفسير والقراءات والحديث، وهو ما يؤدي بنا للإستنتاج ان تلك العلوم سيطرت على الحياة الفكرية للمجتمع الجزائري. ولاشك أن ذلك يعود الى كون القرآن الكريم والحديث المنبع الاصلي الذي يستمد منه الانسان الجزائري انماط حياته. غير ان هذا الانتاج تميز بالتقليد والتكرار والحفظ المبالغ فيه، وفي حالات نادرة كان العلماء يستقلون بآرائهم الفقهية وحججهم العقلية مثل العالم الجزائري ابن العنابي الذي انتقد الجمود العقلي والعالم عبد الكريم الفكون الذي قال ان العلم ليس بكثرة الرواية وانما ما يظهر عند الحاجة اليه في الفتوى من الدراية.

وقد اشتهر عدد من علماء الجزائر في الفترة العثمانية الذين اشتهروا بالتدريس والفتوى والكتابة مثل حمدان بن عثمان خوجة 1773-1840م

ومحمد بن العنابي 1775-1850م، ومحمد الحفصي القسنطيني وأحمد بن عمر القسنطيني 1790-1870م، وأبو العباس أحمد التيجاني 1757-1815م، وأبو رأس الناصري 1737-1824م، ومحمد المازري 1782-1871م، ومحمد الصالح الرحموني 1739-1826م.

والى جانب العلوم الفقهية التقليدية المتعارف عليها لدى علماء الجزائر، كان بعض الطلبة يتلقون علوما أخرى تتصل بالحساب وعلوم الفلك والطب والجراحة، وهذه العلوم لم يكن لها الاهتمام الخاص من السلطة و المجتمع معا لظروف العصر التي تميزت بالركود العلمي لدى المجتمعات الإسلامية في تلك الفترة .

5- التواصل الثقافي بين الجزائر ومحيطها العربي الإسلامي:

تميز العالم الجزائري بحبه المتميز للهجرة لأجل الاستزادة في العلوم المختلفة داخل الجزائر أو خارجها، وقليل من علماء الجزائر الذين لم تشدهم الرحال نحو البلاد الإسلامية شرقا من أجل التواصل مع اخوانهم من علماء المغرب الإسلامي أو المشرق. ولدينا امثلة من علماء الجزائر الذين يقصدون تونس أو مصر أو الحجاز والشام من أجل تلقي العلوم الفقهية ونقل الانتاج العلمي الجزائري لهذه البلاد.

أ - علاقة الجزائر بتونس ومصر.

- التاريخية والجغرافية.

إن موقع الجزائر في قلب المغرب الإسلامي، جعلها تسيطر على الممرات المائية عبر المتوسط، بوجود مدن ساحلية لها موانئ عبور مثل مدينة الجزائر وبجاية ومستغانم ومدينة وهران وتنس وعنابة. هذه الموانئ كانت ممراً للتزود بالحاجيات المتعددة التي تحتاجها السفن، من ماء وغذاء ومواد أخرى، وهي نقاط التقاء المدن الساحلية لغرب المتوسط وشرقه، ذات الارتباط الجغرافي مع المدن الساحلية لشبه جزيرة الأندلس⁽¹⁾.

وقد لعبت مدن الجزائر دوراً هاماً في التبادل التجاري بين غرب المتوسط وشرقه، مروراً بالمدن التونسية إلى مدن مصر الساحلية وأهمها مدينة الإسكندرية. إن الموقع الجغرافي للجزائر عزز مكانة الإقليم السياسية منذ القدم. واستمرت هذه المكانة عبر التاريخ السياسي لهذه المنطقة في الفترة الإسلامية، واستكملت هذا الدور في الفترة الحديثة عند تعزيز الجزائر لمكانتها الإقليمية ووحدها السياسية وشخصيتها الدولية.

إن وقوع الجزائر وتونس ومصر على امتداد جغرافي بمنطقة الشمال الإفريقي، جعل الجزائر تتفاعل مع أحداث المنطقة. وكانت الجزائر مهداً لميلاد دول، كان لها علاقات دبلوماسية مع كيانات ذلك الامتداد الجغرافي. والجزائر جزء لا يتجزأ من

لوحة التاريخية للمغرب الإسلامي⁽²⁾، جعلها تتفاعل سياسياً مع الوحدات السياسية القائمة على أرجاء أقاليم بلاد المشرق والمغرب.

والجدير بالملاحظة، أن إقليم المغرب الأوسط شهد ميلاد عدة دول، استمرت لعقود طويلة من الزمن، وامتدت عبر منطقة جغرافية واسعة لتشمل أقاليم جغرافية إلى الشرق من تونس وما بعدها⁽³⁾.

وهو ما يجعلنا نقول، أن هذا الجزء كان له التأثير البالغ على الوحدات السياسية المجاورة، وقد احتفظ بهذا التأثير في علاقاته المتشعبة في الفترة الحديثة. وكانت الجزائر قد بلغت من القوة ما جعلها تتحكم في مقاليد الحكم بتونس، وتتدخل في وراثة العرش بالمغرب وتقيم علاقات مميزة مع مصر ولها مكانة جديرة بالاحترام بمنطقة الحجاز.

ب- الدينية والثقافية.

لقد شكل الدين الإسلامي رابطاً قوياً بين سكان ودول المغرب الأوسط والوحدات السياسية المجاورة، وكان هذا الرابط في إطار قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁴⁾، وإذا كان المشرق الإسلامي قد احتضن الدعوة الإسلامية وصدرها إلى

مناطق أخرى، فإن المغرب دافع عنها لقرون ضد الغزاة من الأوروبيين الصليبيين في الفترة الحديثة.

وارتبطت الجزائر بالإيالات العربية في شمال إفريقيا بروابط اجتماعية قوية، نظراً لحركة الهجرة من إقليم الجزائر إلى هذه البلاد في إطار حركة التجارة والحج وانتقال العلماء بين هذه الأقاليم.

وكان الحج وحركة انتقال العلماء، يعتبران مظهران في حركة التواصل بين الجزائر وتونس، في إطار التفاعل بين الوحدات السياسية بالمغرب الإسلامي ومنطقة المشرق. وكانت قوافل الحج المغربية التي تظم قافلة الحج الجزائرية والمتجهة إلى الحجاز، تمر بالمدن التونسية، وتعبّر إيالة طرابلس الغرب، لتجتمع بقافلة الحج المصرية بمدينة القاهرة⁽⁵⁾. وكانت هذه القافلة تُعبّر عن الروابط الدينية المتينة التي تجمع بين مسلمي الجزائر وغيرهم من مسلمي بلاد تونس ومصر، واستطاعت هذه الروابط القضاء على كل الحواجز السياسية، المرتبطة بالظروف العامة التي تؤثر في المنطقتين.

وعلى كل حال، لم يفرض العثمانيون حدوداً سياسية ولا حواجز إدارية، تمنع انتقال مسلمي المغرب إلى المشرق، بل على عكس من ذلك، كانت هناك حرية انتقال لأفراد وجماعات في المناطق الخاضعة لسلطة الباب العالي. ومنحت الدولة العثمانية الحرية لحركتهم، في إطار حركة التجارة، والقيام بمناسك الحج، أو بهجرة العلماء وطلاب العلم إلى مراكز العلم ومؤسساته، مثل جامع الزيتونة وجامع الأزهر

وجامع الحرمين، كما سافر عدد من الجزائريين إلى مدن الأناضول ومدينة إستانبول⁽⁶⁾.

ولقد كانت إيالة تونس محطة علمية لكثير من علماء وفقهاء الجزائر، وطلبتها من الذين توافدوا على جامع الزيتونة، وكانت هجرتهم تقليداً أتبعوه منذ القدم. واحتل علماء الجزائر فيها مكانة خاصة، ومميزة لتفقههم في علوم الدين الإسلامي واللغة العربية.

كما كانت مصر من جانبها منارة علمية وحضارية، بجامعها الأزهر، زادها موقعها الجغرافي بين الشرق والغرب جذباً لكثير من علماء وطلبة الجزائر، لتلقي العلوم على أيدي علماء وفقهاء جامع الأزهر، أو تجاراً في موانئ مصر على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر. كما تواجد عدداً من المغاربة في مدن مصر تعود أصولهم إلى إقليم المغرب الأوسط، استقروا في مدينتي الإسكندرية والقاهرة وريفهما⁽⁷⁾.

وقد توافد أشهر علماء الجزائر على مدينة القاهرة، منهم عبد الرزاق بن حمادوش (ت1791م)، وأبو رأس الناصري (ت1823م)، وعيسى الثعالبي (ت1669م)، وشهاب الدين المقري (ت 1641م)، ويحيى الشاوي (ت1685م)⁽⁸⁾، والتي كانت لهم

مكانة علمية مؤثرة في مدن مصر وتونس واحتكاك دائم بعلمائها وبيئتها الثقافية والعلمية.

مصادر ومراجع المادة:

-ابو رأس الناصري، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار.

-بن حمادوش عبد الرزاق الجزائري ، لسان القلم.

- التيمقروتي، النفحة المسكية.

-الفكون عبد الكريم، منشور الهدايا.

- حمدان خوجه، المرأة.

- سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1.

- سعد الله ابو القاسم، رائد التجديد الاسلامي محمد العنابي.

-لزغم فوزية، الاجازات العلمية لعلماء الجزائر.

-بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة.

ملاحظة:

-بالنسبة للبحوث في مادتي الحياة الثقافية للجزائر والعلاقات الجزائرية الاوربية2 هي كما يلي:

1- قائمة بحوث مادة الحياة الثقافية.

- المؤسسات الدينية في الجزائر خلال الفترة الحديثة.(المساجد والزوايا نموذجاً).

- المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال الفترة العثمانية.(المدارس نموذجاً).

- السياسة التعليمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية.

-هجرة علماء الجزائر نحو المغرب وتونس خلال الفترة العثمانية.

- الانتاج العلمي في الجزائر خلال الفترة العثمانية.(العلوم الشرعية).

- من رواد الفكر في الجزائر (حمدان بن عثمان خوجه).

-من كبار العلماء في الجزائر(أبو رأس الناصري)

-من كبار العلماء في الجزائر (سعيد قدوره).

- من كبار العلماء في الجزائر (محمد بن العنابي).

-هجرة علماء الجزائر نحو المشرق الاسلامي.

- الحياة الثقافية بمدينة الجزائر في اواخر العهد العثماني.

2- بحوث مادة العلاقات الجزائرية الاوربية 2.

-العلاقات الجزائرية البرتغالية.

-العلاقات الجزائرية الهولندية.

- العلاقات الجزائرية الامريكية.

- العلاقات الجزائرية مع السويد والنرويج والدانمارك.

ملاحظة هامة:

1-على كل طالب القيام باختيار موضوعا واحدا في كل مادة على ان

يتم تسليم البحوث بعد الانتهاء من الامتحانات الى الاستاذ مباشرة.